

## تأثير الدعاية المتضاربة على تونس خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

أ. محمد زروقي

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان – الجزائر

### الملخص

شكلت الحرب العالمية الثانية حدثاً بارزاً بالنسبة لشمال إفريقيا بصفة عامة و تونس بصفة خاصة ، و كانت البلاد مكاناً لتصادم الأطراف المتصارعة من خلال انفتاحها على دعاية استخدم فيها وسائل مختلفة منها ( الجرائد – المنشائر – الإذاعات – الجواسيس – البعثات الدبلوماسية ) . هدفت مختلف الأطراف المتحاربة من قوات المحور ( ألمانيا – إيطاليا ) و الحلفاء ( فرنسا – بريطانيا – الولايات المتحدة الأمريكية ) من دعايتها التأثير على الشعب التونسي و قاداته السياسيين و جعله في خدمة مشاريعه في المنطقة .

فبرز في الساحة التونسية طرفين الأول مؤيد لتواجد قوات المحور بإعتبارها طرفاً حرراً للبلاد من السيطرة الفرنسية و الطرف الثاني مساند للحلفاء ، كانت له نظرة مختلفة ترى في الألمان و الإيطاليين نوعاً من الديكتاتورية و السيطرة على البلاد و متأثرة بشعارات الحرية التي يطلقها الحلفاء قادها الحبيب بورقيبة.

الكلمات المفتاحية : الحرب العالمية الثانية – الحلفاء و المحور – تأثير الدعاية – تونس – القادة السياسيين .

### Absract :

The second world war formed a landmark event for North Africa in General and in particular, Tunisia, and the country was a place of collision of conflicting parties through their openness to different methods used publicity (brochures – saws – radio – spies – diplomatic missions). Various warring parties aimed at the axis (Germany-Italy) and allies (France-Britain-United States) from its propaganda effect on the Tunisian people and their political leaders and make it in the service of his projects in the region.

It featured in the Tunisian scene two I Pro-axis forces as liberated the country from French control and second party armrests to the allies, had a different view on the Germans and the Italians a kind of dictatorship and take over the country and influenced by the slogans of freedom by the allies Led by Habib Bourguiba.

Keywords: World War II allies and axis – the impact of publicity – Tunisia – political leaders .

## المقدمة:

شهدت العلاقات بين الدول الأوربية خلافات احتدمت منذ النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين , و ظهرت معالمها بوضوح سنة 1938 . فأثرت هذه الخلافات تأثيرا مباشرا على منطقة المغرب العربي عموما و البلاد التونسية خاصة , و لعل ما تميزت به البلاد التونسية من موقع استراتيجي هام , جعله عرضة للتفاعلات الخارجية و أطماع النظام الفاشي الإيطالي بمساندة الحليف الألماني لفرض النفوذ على البلاد التي هي أصلا تحت الحماية الفرنسية , وستكون فترة الحرب العالمية الثانية ( 1939-1945 ) بالنسبة لتونس مرحلة تناوب بين نفوذ حكومة بيتان الموالية للألمان التي سيطرة على السلطة بعد سقوط باريس ( 1940-1942 ) و حكومة فرنسا الحرة التي وضعت نفوذها على تونس بعد الإنزال الأنجلو امريكي في شمال إفريقيا ( 1942-1945 ), من خلال هذا السياق سوف نتعرض من خلال بحثنا إلى الدعاية التي تعرضت لها تونس خلال الحرب العالمية الثانية من الأطراف المتصارعة ( دول المحور – دول الحلفاء ).<sup>(1)</sup>

- فما هي الوسائل الدعائية التي اعتمدتها الأطراف المتصارعة ؟

- وكيف اثرت على البلاد التونسية ؟

## أ. سياسة المحور و الحلفاء الدعائية تجاه تونس:

### 1. دعاية دول المحور بين تنامي الأهداف الاستراتيجية و خدمة

#### الأهداف السياسية :

#### أ- أطماع دول المحور في البلاد التونسية ( ألمانيا – إيطاليا):

كان للاعتبارات الاستراتيجية دور هام في تحديد نوعية العلاقات بين الدول الكبرى من جهة وتحديد مناطق النفوذ من جهة اخرى , و قد مثلت تونس بفضل موقعها المتميز القريب من أوروبا , و المطل على البحر المتوسط , هدفا للقوى الإستعمارية ومطامحها الاستراتيجية خاصة تلك الأنظمة الناشئة , الطامحة إلى تدارك مقررات مؤتمر برلين , و الثأر من الظلم الذي لحق بألمانيا في مؤتمر الصلح بفرساي , فالسيطرة على البلاد التونسية تمكن أي قوة من التحكم في مصير الملاحاة المتوسطية و العبور إلى مضيق جبل طارق نحو الأطلسي و قناة السويس وقد برزت هذه البلاد في سياسة المحور بشكل متضح في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين. فاعتبرت إيطاليا أن الوجود الفرنسي في تونس يمثل حاجزا أمام أهداف روما التوسعية , حيث مثلت مدينة بن زرت

بفضل موقعها القريب من صقلية ومينائها العسكري هدفا يمكنها من السيطرة على طريق الملاحة في المتوسط , ومع نهاية 1938 أصبحت المطالب الإيطالية علنية خاصة بعد تصريحات الكونت تشيانو ( Conte Ciano ) وزير الخارجية الإيطالي في 30 نوفمبر 1938 في ندوة أكد فيها ضرورة التثبت بمطالب الشعب الإيطالي و مطامحه الطبيعية , فقد أشارت الإحصائيات

إلى تزايد عدد القوات الإيطالية المتواجدة بليبيا من 60.000 جندي في بداية 1939 إلى 130.000 جندي في أكتوبر من نفس السنة , مما يؤكد تلك التهديدات الموجهة نحو تونس .<sup>(2)</sup>

فقد سعى موسولوني من خلال دخوله الحرب في 10 جوان 1940 إلى أن يكون موجودا على طاولة المفاوضات لاقتسام الغنيمة , موازات مع ذلك شرعت وزارة المستعمرات في الإيطالية المختصة بشمال إفريقيا في إعداد ملف يتكون من 60 صفحة , يحتوي على تقارير التنظيم المستقبلي لتونس الإيطالية .  
وقد عمد النظام الفاشي من أجل تحقيق الأهداف إلى إنتهاج سياسية دعائية تجاه الأهالي التونسيين , هدفت إلى استقطابهم و كسف التعاطف لتهيئة الظروف للوجود الإيطالي.<sup>(3)</sup>

أما الألمان فقد عمدوا إلى التوفيق بين مصالحهم الاستراتيجية و الاقتصادية , ولتحقيق ذلك سعت ألمانيا منذ انشاء محور روما - برلين إلى مراعات المطالب الإيطالية في السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط بحكم ان مصالحها ستتحقق في شرق أوروبا , ولكن رغم ذلك شكلت شمال افريقيا اهتماما اقتصاديا لألمانيا فقد قامت عدة شركات ألمانية بزيارات لتونس مثل الزيارة التي قام بها ممثل شركة ديازيل ( Diesel ) المتخصصة بصناعة المحركات إلى سوسة في اوت 1938 لعقد صفقة مع التجار الإيطاليين . و ما يمكن قوله أن تونس لم تكن تمثل ذلك الثقل الاقتصادي ما يشد انتباه بلد مصنع مثل ألمانيا , فلم تكن تربطها بتونس علاقات تجارية ففي سنة 1938 مثلت المرتبة السادسة فهي مبادلات لا تمثل شيئا مقارنة بالمعاملات التجارية بين تونس و فرنسا .<sup>(4)</sup>

لكن ما يمكن الإشارة اليه هو المحاولة الألمانية لتضييق الخناق الإقتصادي على فرنسا في مستعمراتها بشمال افريقيا و الحد من استغلال مواردها و جلب إهتمام الأهالي لتحبيدهم من الصراع . و تعاضمت هذه النظرة مع تنامي المطامح الإستراتيجية , و هو ما جعل

المانية تطالب فرنسا و انجلترا بإعادة تقسيم مناطق النفوذ و هو ما أكده الجنرال الألماني فون إيب ( VON EPP ) في خطاب بميونخ : ( إن الدولة الألمانية تعد حوالي 80 مليون نسمة , و هي تريد إعادة تقسيم عادل للموارد الأولية في العالم ... ) . من هذا الخطاب تتبين النظرة الإستراتيجية الشاملة لألمانيا التي هدفت لتحقيقها , فمنطقة البحر المتوسط لم تكن هدفا إستراتيجيا بعينه بل كانت هدف حليفها ايطاليا التي كان عليها مراعاتها .<sup>(5)</sup>

### ب- وسائل الدعاية الألمانية الموجهة نحو تونس:

عملت دول المحور ( ألمانيا و إيطاليا ) على تطور وسائل دعائية قادرة على التأثير على التونسيين , في ظل التواجد الفرنسي في المنطقة . فاعتمدت على عاملين أساسيين ساهما إلى حد كبير في انتشار دعايتها في أوساط بعض الأهالي:

#### - العنصر البشري ودوره في الدعاية:

دور الجاليات الأجنبية في تفعيل الدعاية , و لعل ما يهنا هو دور الجاليتين الإيطالية والألمانية في نشر الدعاية في أوساط الأهالي التونسيين , و لكم يكن هذا العمل الدعائي عفويا بل كان للقنصليتين الإيطالية الألمانية دور كبير في تأطير و توجيه رعاياها . فقد ميز الدعاية التي تبثها القنصلية الإيطالية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية طابع السرية , إذ افاد التقرير المؤرخ في 6 أبريل 1937 عن قيام القنصلية الإيطالية بتوزيع كتيبات أهمها بعنوان ( شهادات أجنبية عن الحرب الإيطالية ) . يتضمن بعض الشهادات عن الدور الإيطالي في الحرب العالمية الأولى .<sup>(6)</sup>

ومع توتر العلاقات الأوروبية قبيل أشهر من إندلاع الحرب العالمية الثانية تعاظم نشاط القنصلية , ففي تقرير سري مؤرخ في 12 جويلية 1939 صدر من المكتب الثاني التابع للجيش الفرنسي بتونس ( نشرت القنصلية الإيطالية سرا كتيباً مترجماً إلى العربية بعنوان مذهب الفاشية داخل أوساط بعض الشخصيات التونسية.... ) ( يتكون الكتيب من 130 صفحة , شرح فيه كذلك التنظيم الإقتصادي و الإجتماعي الذي أصبحت عليه المستعمرات الإيطالية في إفريقيا.<sup>(7)</sup> هكذا يتضح لنا دور القنصلية الإيطالية في الدعاية

للفاشية بتونس حيث أرادت تكوين صورة لدى ال التونسيين ن أنها القوة القادرة على تخليصهم من الجهل و الفقر و من سيطرة الاستعمارية الفرنسي.

أما الحضور الألماني بالبلاد التونسية كان ضعيفا , فقد أولت السلطات الالمانية من خلال القنصلية الألمانية<sup>(8)</sup> بتونس على العناية بالرعايا الألمان المتواجدين بالبلاد , وقد تضمن عدة نشاطات أهمها القيام بعمليات إحصاء و تأطير شاملة للجالية الألمانية بتونس قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية, و قد وفر ذلك لمسؤولي القنصلية آلية لعرض أفلام الدعاية التي تخدم النازية في أوساط الأهالي<sup>(9)</sup>.

فمع مطلع سنة 1938 تكثفت الدعاية الألمانية تجاه المغرب العربي و شجعت الطلبة المغاربة على الدراسة في برلين ,مما ساعد في اواخر 1938 على تكوين لجنة الدفاع عن البلاد التونسية في برلين توازيا مع تأسيس لجنة الدفاع عن المغرب العربي , فقد أظهر تقرير المدير العام المؤرخ في 26 جويلية 1939 الذي بعث به إلى الكاتب العام للحكومة التونسية , أن المانية كونت 30 شابا من شمال إفريقيا , تكوينا خاصا كي تستعملهم في الدعاية , إضافة إلى تعليمهم صنع المتفجرات.<sup>(10)</sup>

#### - دور الإذاعات الناطقة بالعربية في الدعاية:

استعملت الدول المتحاربة كل الطرق الدعاية كالتفويض و نشر الأخبار الزائفة , و التقليل من قوة الخصم , فكان الراديو الوسيلة الفعالة لقدرته على نشر الأخبار على نطاق واسع , فمن أهم المحطات التي كان لها دور في دعاية دول المحور :

-راديو باري الناطق باللغة العربية فقد عملت إيطاليا منذ منتصف الثلاثينات على وضع برنامج إذاعي ناطق باللغة العربية لبث الدعاية الفاشية نحو شمال إفريقيا , فمع نشوب الحرب العالمية الثانية و خاصة في الفترة بين 1939 و 1940 , عملت الإذاعة على تشجيع التونسيين على إثارة البلبل و تهديد المصالح الأنجلو فرنسية.<sup>(11)</sup>

-راديو طرابلس الناطق باللغة العربية الذي تأسس 29 ديسمبر 1938 و هي السنة التي إحتدم فيها الصراع الدعائي على البلاد التونسية<sup>(12)</sup> , فقد كان يفتح يوميا تقريرا عن كامل ما كان يطرأ من أحداث في العالم العربي , إضافة إلى بث آيات من القرآن الكريم تختار

بعناية و ذلك بالتركيز على الآيات التي تحت على الجهاد و الدفاع على حرمة الدين الإسلامي ضد المحتلين<sup>(13)</sup>

-راديو برلين الناطق باللغة العربية الذي افتتح بثه في 25أفريل 1939 و يقع البث على موجات قصيرة , تمكنت بفضلها الدعاية الألمانية من الولوج لبلدان شمال إفريقيا .<sup>(14)</sup> استخدم خلالها الألمان من أجل تلافي هذه اي صعوبات إغراءات لجذب بعض المثقفين و السياسيين المغاربة لتقديم برامج و محاضرات إذاعية أمثال عبد الرحمان بلحاج المعروف عبد الرحمان ياسين الذي كان ينتمي إلى حزب نجم شمال إفريقيا سابقا الذي دعى في جوان 1940 إلى مصاحبة الجيش الألماني الذي دخل باريس , و تأكد مصالح الإستعلامات الفرنسية على الدور الكبير لي عبد الرحمان ياسين في تجنيد عدد من المغاربة في الجيش الألماني.<sup>(15)</sup>

### ج- دعاية دول المحور بعد هزيمة فرنسا :

وضعت هزيمة فرنسا في سنة 1940 و إمضائها معاهدة الهدنة مع المانية البلاد التونسية تحت وقع دعاية محورية مكثفة و مركزة , بهدف تهيئة الرأي العام التونسي للتفاعل مع المتغيرات الجديدة , و تقبل فكرة التعاون مع سياسي دولتي المحور . فقد استحوذت ألمانية على المحطة الفرنسية باريس مونديال في 20 جويلية 1940 , و عملت على بث الدعاية طيلة الفترة الأولى من الحرب خاصة تجاه منطقة شمال إفريقيا , فطوعوا عديد المغاربة للعمل كمذيعين و مثقفين لإلقاء محاضرات تدعوا إلى الوقوف مع الألمان الدولة المنتصرة, و قد استبدلت اللغة الفرنسية باللغة العربية و بثت حصص باللهجة الأمازيغية و الدارجة المحلية لتونس.<sup>(16)</sup>

كما كثفت محطة راديو باري دعايتها و اشتدت لهجتها المعادية للسياسة الفرنسية في البلاد , مقابل لغة التهذئة التي انتهجتها محطة راديو برلين وذلك محافظة على العلاقة بينها وبين حكومة فيشي , و اتجهت المحطة لتحريض الاهالي ضد اليهود و تحميلهم المسؤولية عن قيام الحرب و دورهم في تخريب اقتصاد البلاد و استغلال ظروف الحرب .<sup>(17)</sup>

وقد شكل التوقيع على اتفاقية الهدنة بين فرنسا و المحور<sup>(18)</sup> , سبب في جعل شمال افريقيا تحت رحمة لجان تفرعت بين لجنتي وايزبادن ( Weisbaden ) و توران

( Turin ), فكان لها زيارات متعددة لمراقبة تطبيق مقررات الإتفاقيات فيما يخص البلاد التونسية , حيث بلغ عددهم في زيارة نهاية شهر جانفي 1940 حوالي 159 مسؤولا عسكريا و مدنيا . و بالطبع لقد انحرف لجان الهدنة الإيطالية عن مهامهم القانونية نحو مباشرة العمل الدعائي لصالح دولتي المحور ,<sup>(19)</sup> و قام المسؤولون الإيطاليين بعقد عديد الاجتماعات داخل مقر الفنصلية العامة الإيطالية للتباحث حول تطورات الدعاية داخل أوساط الأهالي .<sup>(20)</sup>

أما حكومة فيشي فقد أجرت عديد الجلسات للتباحث حول تنظيم الدعاية الفرنسية في شمال غفريقيا . وأصدرت منشورا في 16 سبتمبر 1940 إلى رؤساء الإدارة و المراقبين المدنيين و رؤساء مكاتب الشؤون الأهلية تعلمهم مصبحة الدعاية بمصلحة الإعلام و تتحصر مهمتها في مراقبة الجرائد و المنشورات و الأفلام و المعلقات و المصالح الفرنسية بالبلاد .<sup>(21)</sup> أما ألمانيا فلم تكتفي بالدعاية فقط بل كن لها قوات عسكرية استقدمت لمواجهة الحلفاء في شمال إفريقيا , خاصة مع ورود معلومات بوجود انزال عسكري , وعمل الجيش الألماني على كسب ثقة التونسيين حتى يكونوا سندا لفيلق إفريقيا كعمال و مجندين , وبادرت إلى اطلاق المساحين السياسيين امثال ( الحبيب ثامر - رشيد ادريس - حسين التريكي ) في ديسمبر 1942 بعد سيطرة قوات الحلفاء على المغرب و الجزائر , و ساعدوا الدستوريين امثال رشيد ادريس و محمود المسعدي على انشاء محطة راديو العرب .<sup>(22)</sup>

وعمل الألمان على طمأنة الرأي العام التونسي حول مسألة حضور قوات المحور , و قاموا في 5 فيفري 1943 بالإفراج عن جنود مغاربة , و وضع الوزير الألماني راهن في حفل بمقهى الجزائر المطل على باب السويقة خلفيات الحضور العسكري في تونس , و أقدم الوزير على زيارة جامع الزيتونة إلتنقى خلالها بالمشيخة و قدم هبة مالية ب 21000 فرنك لتوزيعها على التلاميذ الفقراء وذلك حسب ما جاء في جريدة إفريقيا الفتاة .<sup>(23)</sup>

ساهمت هذه الزيارات للمسؤولين الألمان لجهات مختلفة من تونس , في بلورة وعي لدى السكان المحليين أن قوات المحور جاءت لتعوض تعسف الاستعمار الفرنسي , و انتهج الألمان سياسة التهريب و الترغيب فمن جهة تهدد كل من يساند الحلفاء , و من الجهة الأخرى تعلن عن جوائز مالية هامة لكل من يساعد في القضاء على عملاء قوات

الحلفاء،<sup>(24)</sup> واستغل الألمان الغارات التي كانت تقوم بها طائرات الحلفاء على الأحياء السكنية و المدن ذات الرمزية الدينية ، للدلالة على وحشية ، حتى يقف التونسيين في صفهم ، و تحرك الألمان للحصول على مساندة المنصف باي فقد قام الوزير الإيطالي المفوض اندريكو بومبيار (Enrrico Bombiéri) بزيارة للباي عقب قصف مدينة القيروان من قبل الحلفاء عبر فيها عن سخطه الكبير من هذا العمل الفضيح ، و قدم القنصل الألماني التعازي محاولا استغلال إمتعاض التونسيين مما حدث .<sup>(25)</sup>

كما وجهت دول المحور دعايتها للمحندين في صفوف الجيش الفرنسي خصوصا المغاربة ، حيث ألقت الطائرات الإيطالية عديد المنشورات المحررة باللغة الفرنسية تدعو فيها إلى عدم التعرض للجنود الفارين نحو قوت المحور ، وتدعوهم إلى أن يأتروا بأوامر الجنرال بيتان ويواجهوا الإنجليز و الأمريكيين إلى جانب قوات المحور ، و إستغل الألمان عدة شخصيات عربية لخدمة مصالحها أمثال الأمين الحسيني<sup>(26)</sup> الذي فر من فلسطين بعد تهديد الإنجليز له ، لتجعله ألمانيا وسيلة لتمرير رسائلها للأهالي .<sup>(27)</sup>

## 2. الدعاية المضادة : حملة الحلفاء الدعاية ضد قوات المحور :

اعتبرت فرنسا أن السياسة العدائية التي انتهجتها كل من الدعاية الألمانية و الإيطالية ، محاولة لإضعاف هيمنتها على تونس، مما جعلها تنتهج سياسة جديدة للحفاظ على مستعمراتها في المنطقة فاتخذت من الدعاية المضادة وذلك لتقويض دعاية المحور التي تشيع روح العدا و السخط ضدها.<sup>(28)</sup>

### أ-الإجراءات الفرنسية الوقائية ضد دعاية المحور :

عملت فرنسا منذ أواخر 1937 على استغلال المحطات الحكومية راديو كولونيال ( Radio Colonial) التي تبث من باريس ، و توجه حصصا ناطقة باللغة العربية موجهة نحو شعوب شمال إفريقيا و المشرق ، وبسبب كثافة دعاية المحور و هو ما عالجنه سابقا اضطرت فرنسا إلى تغيير استراتيجيتها ، فأسست بذلك المحطة الإذاعية الجديدة باريس موندنيال ( Paris Mondial ) مع بداية شهر جانفي 1938 .

و الملاحظ هنا أن الحكومة الفرنسية ارادت من وراء هذا التغيير حرصها على الرفع من وسائلها الدعائية , و سهرت على توجيه البرامج اليومية من خلال مكتب البرامج العربية التابع لوزارة الخارجية , فتبين إرتباط هذه المحطة وحصصها بواقع السياسة الخارجية الفرنسية في ظل احتدام الدعاية المعادية للمحور من خلال إذاعة راديو باري و دافنتري الناطف بالعربية . (29)

عمدت فرنسا عمدت فرنسا إلى طرح برامج باللغة العربية , لكن مدة هذه الحصص كان قصيرا و اقتصر على بعض الموسيقى العربية و نشرة إخبارية و ثقافية تهتم ما حصل في العالم وخاصة المنطقة المغاربية , و قد أشارت التقرير الذي تم دراسته إلى الأهمية الذي تلقاه هذه الحصص في كل من المغرب الأقصى و تونس و الجزائر و المشرق . (30)

اتضح اهتمام فرنسا أكثر فأكثر بدعاية مضادة , للتخفيف من تأثير البرامج الأجنبية على نفسية الأهالي , من خلال برقية المقيم العم الفرنسي بتونس إلى وزير الخارجية بتاريخ 9 مارس 1938 يؤكد على ضرورة إنتداب محاضر تونسي إلى محطة راديو باريس للعمل إلى جانب الحبيب فرحات الذي كان يتقاضى 1500 فرنك شهريا , فوقع أختيار الصادق مازيع و هو أستاذ في المعهد الصادقي الذي باشر عمله في 19 مارس 1938 . (31)

كما شرعت فرنسا في تأسيس محطة إذاعية بالبلاد التونسية منافسة لمحطة طرابلس في ليبيا , فكان لها ذلك في 14 أكتوبر 1938 سميت محطة راديو تونس البريدية قام بتدشينها جول جوليان وزير البريد و البرق و الهاتف الفرنسي . (32) و قد جاءت هذه المحطة لتعبر عن ( الفكر و الراية الفرنسية و في نفس الوقت و سيلة دعائية فرنسية موجهة نحو فرنسيي تونس و الشعب العربي المسلم المتضرر من الدعاية الإيطالية ) . وهي مزاعم الدعاية الفرنسية و وجهة نظرها . (33)

رغم الإمكانيات التي وفرتها فرنسا لدعايتها المضادة فإنها لم تكن كافية ولعل السبب الحقيقي هو تأخرها في انتهاج سياسة حرب الموجات , ووضع هيكلة حقيقية لدعايتها و التساؤل المطروح إذا كانت فرنسا لم تحمي حدود الجمهورية من دعاية المحور فكيف ستأثر بدعايتها على مستعمراتها ؟

كل هذا يؤكد ضعف وسائل الإعلام الفرنسي المسموعة في مواجهة قوة آلة دول المحور الإعلامية المتطورة ، لذلك عملت فرنسا في إطار سياستها الدعائية المحافظة على هيبتها من خلال إنشاء المفوضية العامة للإعلام في 29 جويلية 1939 وعينت جان جيروودو ( Jean Giraudaux ) مفوضا عاما ، و كانت مهمتها دفاعية في تشديد الرقابة و هجومية في إنشاء الدعاية المضادة.<sup>(34)</sup>

إن اعتماد السلطات الفرنسية على مراقبة الصحف المحلية و الأجنبية المتداولة داخل تونس ، نتيجة للأساليب المحتشمة التي انتهجتها في دعايتها المضادة ، و عدم قدرتها على منافسة آلة دول المحور الدعائية ، ففي ظل هذه الإجراءات عملت بعض الصحف المحلية إلى تغيير أسمائها بعد صدور قرار المنع أو المصادرة ، نذكر على سبيل المثال جريدة ( L'Action Nord Africains ) الناطقة بإسم الحزب الدستوري الجديد و عوضت بجريدة ( L'Action Tunisienne ) التي منعت بدورها من الصدور لمدة 3 أشهر فعمد الحزب إلى إصدار جريدة تحت عنوان ( La Voix des Jeunes ) في 10 جوان 1939 لكن تعرضت بدورها للمنح تحت أمر يوم 07 جويلية 1939.<sup>(35)</sup>

لكن فيما يخص الصحف و المجلات الأجنبية ( العربية - الإيطالية ) ، فقد صدر قرار في شهر مارس 1939 يمنع توزيع هذه الصحف نذكر منها : جريدة الأمل القومي ( دمشق ) ، صحيفة ( Illustrato Il Matino )

( إيطاليا )<sup>(36)</sup>، و مجلة راديو باري الشهيرة العربية التي أزجبت السلطات الفرنسية مما أضطرها لإتخاذ الإجراءات اللازمة لإيقافها.<sup>(37)</sup> ولا يمكن التغافل عن جريدة لوتيون ( L'Unione )<sup>(38)</sup> و هي أهم جريدة فاشية تصدرها القنصلية العامة الإيطالية في البلاد ، و تقوم بالدعاية للنظام الفاشي في أوساط الإيطاليين و الأهالي و قد منعت من الصدور في 10 جوان 1940 بعد دخول إيطاليا الحرب.<sup>(39)</sup>

كما اتخذت فرنسا جملة من الإجراءات القضائية سنت خلالها جملة من القوانين منها

:

توقيع الباى

على المرسوم الفرنسي الصادر في 21 أبريل 1939 القاضي بقطع الدعاية الأجنبية في تونس , و منع أي تمويل مصدره خارجي و قد جاء في الفصل الأول من هذا المرسوم ( يعاقب كل شخص يقبل تمويلات من مصدر أجنبي , مباشر أو غير مباشر , يستعملها لدعاية سياسية .

معاقبة كل

خرق لهذه القوانين ب السجن من 6 أشهر إلى 5 سنوات , إضافة إلى غرامة مالية تتراوح ما بين 1000 و 10.000 فرنك فرنسي .<sup>(40)</sup>

قرار 30

أوت 1939 الذي نص على الحجر على المركز الإذاعية الكهريائية المنصوبة بتونس وجاء في فصله الأول على تكفل وزير الحربية بتطبيق القرار و فصله الثاني على الغرامات المالية المسطرة على المخالفين ( 100 - 1000 فرنك) و السجن من سنة إلى 5 سنوات , أما الفصل الثالث إلى إمكانية مصادرة السلطات لهذه المحطات و حدد أسمائها .<sup>(41)</sup>

ونظرا لعدم قدر السلطات الفرنسية وضعف دعايتها على مسايرة وسائل الدعاية الألمانية و الإيطالية الخارجية ' عمدت إلى انتهاج تقنية التشويش على المحطات بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية , خاصة بعد بث محطة راديو برلين لخبر أسر جنود تونسيين و مغاربة و جزائريين .<sup>(42)</sup> لكن رغو ذلك لم تستطع الحد من استقبال المحطات الأجنبية , حيث يؤكد تقرير صدر عن المكتب الثاني 10 ديسمبر 1939: "أ ن عملية التشويش على حصص راديو برلين لا زالت تعاني الضعف و هي لم تحقق الأهداف المرجوة".

والملاحظ من كل ما سبق ذكره أن الدعاية المضادة الفرنسية رغم محدوديتها إذا ما قارناها بالوسائل الدعائية عند دول المحور , إلا أنها عرفت كيف تمرر دعايتها بجملة من القرارات كانت في محلها , مست سكان شمال إفريقيا وذلك راجع لدرايتها بالطرق الفعالة لذلك لكن أغلب الأهالي في القرى لم تكت لهم الإمكانيات لشراء أجهزة الراديو و حتى قراءة الجرائد .<sup>(43)</sup>

ب- دور إنجلترا في تحريك دعاية "فرنسا الحرة" و الحلفاء بعد الهزيمة الفرنسية :

شكلت هزيمة الجيش الفرنسي في بداية شهر جوان 1940 نكسة كبيرة , و ساهمت إلى حد كبير في الحط من الهيبة الفرنسية , وتغير الاعتقاد في صفوف المغاربة بأن القوة

الفرنسية لم تعد تلك القوة الاستعمارية التي يمكنها استرجاع مستعمراتها ، وحاولت دعاية المحور التركيز على هذا المعطى الجديد الذي تمخض عن الحرب .

وفي المقابل عملت الدعاية الإنجليزية بعد خلافتها مع حكومة فيشي على مساعدة دعاية فرنسا الحرة و نشر دعاية في وسط الأهالي بالبلاد التونسية ، مركزة على فضح مخططات النظام الفاشي و النازي في المنطقة المغاربية عامة و البلاد التونسية خاصة. (44)

كان لرفض إنجلترا الهدنة الفرنسية -الألمانية ، ورغبتها في مواصلة الحرب ، الدافع الكبير لها في ضرورة التحالف مع الجنرال ديغول ، و ما يمكن الإشارة إليه أن الدعاية الإنجليزية نحو البلاد التونسية ، لم تكن على درجة كبيرة من الأهمية إلى في منتصف 1940 ، و ليس كالدعاية الإيطالية و الألمانية نحو الاهالي التونسيين ، رغم ما قدمته محطة ب.ب.س ( B.B.C ) الإنجليزية من دعاية نحو البلاد العربية . (45)

و من أسباب زيادة نشاط الدعاية الأنجلو- ديغولية ، هو ما خلفته حادثة قصف إنجلترا للأسطول الفرنسي بميناء المرسى الكبير و ما خلف من أثر في نفوس الفرنسيين و التونسيين ، فحاولت هذه الدعاية الخروج من الإندماج الإنجليزي - الديغولي و إبراز الدعاية الديغولية حتى تكون أكثر قبولا و قد ركزت على رفض سياسة المحور في تونس مساندة الحلفاء . إستطاع أنصار ديغول التحرك داخل البلاد التونسية رغم المراقبة من قبل سلطات فيشي ، إذ تمكنوا في شهر سبتمبر 1940 من توزيع العديد من المنشورات و تعليقها على الجدران بالعاصمة و مدن أخرى ، و ركزت في هذه الظروف على الفرنسيين و القيادات لاستمالتهم ، وساهمت إنجلترا في دعم المجهود الدعائي من خلال إلقاء الطائرات الإنجليزية للمنشورات المعادية للمحور .

شكلت الفترة ما بين ( جوان 1940- صائفة 1942 ) ، مرحلة هامة من حيث العمل الدعائي الإنجليزي -الديغولي الموجه نحو البلاد التونسية ، و كان هدفها كسب الفرنسيين الموالين لبيتان و إقناع الأهالي بمخططات المحور وهذه أمثلة عن بعض صور العمل الدعائي :

-إلقاء الطائرات الإنجليزية صبيحة 21 سبتمبر 1940 منشورا دعائيا على المدن الساحلية ( تونس - بن زرت -سوسة - صفاقس) وهي عبارة عن نداء موجه للجنود الفرنسيين بالبلاد،<sup>(46)</sup> وقد تركز القاء المناشير على مدينة بن زرت خاصة يوم 13 أوت 1941 لما تحتويه من ترسان عسكرية فرنسية .<sup>(47)</sup>

-ركزت المناشير على عدة مواضيع أهمها رفض التعاون مع الفاشية و النازية , لأنه يعني تقديم الدعم الاقتصادي و العسكري لها , و نذكر في سياق حديثنا منشور يحمل عنوان التعاون ( Collaboration ) وهو نداء موجه للفرنسيين و التونسيين.<sup>(48)</sup>

ركزت الدعاية الأنجلو- ديغولية على الوضع الاقتصادية و الثروات الطبيعية التي تتركبها تونس , و الأطماع الإيطالية للإستحواذ عليها , وهو ما بين أن المعطى الاقتصادي كان سببا رئيسيا في السيطرة الإيطالية على تونس , رغم الغموض الذي كان يظهر على الدعاية الإنجليزية \* الديغولية تجاه التونسيين لغياب الوعود الواضحة بالتحريض و الإستقلال , بل كانت تنادي بالتبعية لفرنسا إذا ما حقق الحلفاء النصر .<sup>(49)</sup>

#### ج-الحملة الدعاية الأنجلو-ساكسونية تجاه تونس:

ترافق الإنزال الأنجلو-ساكسوني في الجزائر و المغرب مع تكثيف إنجلترا لدعايتها ضد قوات المحور , و ذلك لإظهار الأسباب التي دفعت الحلفاء للتدخل في تونس , و تم الإعتماد على محطة ال ب .ب.س ( B.B.C ) التي تبث برامجها باللغة العربية نحو شمال إفريقيا , تلتقط الحصة الأولى على الساعة الرابعة مساء و 15 دقيقة و الحصة الثانية على الساعة الحادي عشر ليلا و 15 دقيقة حسب التوقيت المحلي لتونس,<sup>(50)</sup> استعملت اللغة العربية الفصحى إلى جانب اللهجات المحلية المغاربية وقد تعرضت المحطة إلى التشويش المكثف من طرف سلطات فيشي . فنوعت من وسائل دعايتها من خلال القاء المنشورات المحررة باللغة العربية عن طريق سلاح الجو الملكي و القوات الجوية الأمريكية,<sup>(51)</sup> ويمكن الإشارة هنا إلى الدور الذي لعبته ( مصلحة الدعاية الإنجليزية بطنجة ) الذي شرع في انجاز و طبع المنشورات باللغة العربية و نسخها , وقد قامت القوات البريطانية في شهر مارس 1943 برمي 9000 منشور على مدن الساحل و 4000 منشور على مدينة بنزرت , و رمت الطائرات الأمريكية منشورات على العاصمة وضواحيها و السلطات الفرنسية بمدينة الكاف .<sup>(52)</sup>

هدفت دعاية الحلفاء من خلال اللقاء المناشير إلى تحذير التونسيين من دعاية المحور معتبرا إياها واهية ، هدفها السيطرة على تونس ، و ركزت على العقوبات التي ستلحق بكل تونسي يقدم المساعدة لجيوش المحور ، أو كل من تأخذه الإغراءات ليتطوع معهم ، أو من غرر بهم فأصبح يشارك قوات المحور في الجبهات كمرشد و مجند ، وإشارة الدعاية إلى جزاء كل من يساندهم بعد القضاء على محور و السيطرة على البلاد التونسية .

و بسبب تذر الأهلالي من القصف للمدن التونسية من الحلفاء، شرع الحلفاء في إلقاء مناشير تبرر أسباب القصف لمدينة تونس ، مبررا بقصف طائرات الإيطالية و الألمانية لمدن جزائرية خلت من وجود عسكري للحلفاء ، و هو في نظري تبرير غير مؤسس على أسباب مقنعة تجعل التونسيين يكونون راضين لما وقع لهم من خسائر فادحة مادية و بشرية ، و أوردت قوات الحلفاء التبريرات نفسها عند قصف مدينة القيروان ، و هو الذي استغلته الدعاية الألمانية كثيرا من خلال التحريض ضد الحلفاء و عدم احترامهم للأماكن الدينية و هو العامل الذي استفاد منه الحلفاء من خلال إلقاء منشور بينت فيه دور الألمان في تدنيس المراكز الدينية و جعلها عرضة لرمي الحلفاء.<sup>(53)</sup>

كما سعت قيادة الاستعمارية الموالية للحلفاء إلى حث قيادات الأهالي على تحرير المنشورات و توزيعها بين الحلفاء ، ففي مراسلة بتاريخ 29 أفريل 1943 حررت من طرف المراقب المدني بالقيروان إلى المقيم الفرنسي ما كارت ( Maquart ) بمدينة الكاف عنوانه ( أيها التونسيون ) ركز على ما تميزت به الدعاية الألمانية من مكر و خداع.<sup>(54)</sup>

وبعد السيطرة على تونس سعت فرنسا إلى استرجاع ثقة التونسيين بمساعدة الحلفاء ، فقامت بإنشاء لجنة تنظيم الدعاية الفرنسية بتونس 12 ديسمبر 1944 و هي بمثابة مجلس خاص للدعاية يتميز بالسرية التامة ، عملت اللجنة على تحديد البرنامج الدعائي الموجه للتونسيين ، فتطرقت للهزيمة التي تعرض لها المحور في تونس ، و الرفع من شأن انتصارات فرنسا العسكرية ، و ركزت اللجنة على الاستفادة من المثقفين التونسيين الموالين لفرنسا لتطويعهم كأداة دعائية لإنتاج مقالات و محاضرات إذاعية تخدم المصالح الفرنسية ، و عملت على تطوير السنما و اصدار الصحف و النشريات و التظاهرات الثقافية و توفير شاحنات البث

السنماتو غرافي في المناطق القروية و الريفية .<sup>(55)</sup>

## II. تأثير الدعاية المتضاربة ( المحور - الحلفاء ) على الحركة الوطنية التونسية :

سعت الأطراف المتحاربة خلال الحرب العالمية الثانية من أجل ترسيخ أفكارها و سيطرتها على تونس بتسخير مختلف الوسائل الدعائية كما ذكرنا سابقا، لأجل السيطرة و التغلغل في المجتمع التونسي و استمالة الوطنيين التونسيين إلى جانبهم خدما لمصالحهم ، شكلت المخططات الدعاية المتضاربة تأثيرا على مختلف طبقات المجتمع ، خصوصا الطبقة السياسية :

### 1- تأثير دعاية المحور ( ألمانية - إيطاليا ) على تونس:

#### أ- الشعب التونسي:

عمدت سياسة المحور إلى تكثيف دعايتها للسيطرة على أفكار التونسيين من خلال اللعب على عدة نقاط منها الظهور كقوة محررة من السيطرة الاستعمارية الفرنسية ، و محاولة تحويل الفئات الشعبية المتقبلة للدعاية الألمانية و الإيطالية إلى داعمة لها و متطوعة في بث هذه الدعاية .

فقد أشار تقرير رسمي إلى ارتفاع نسبة التونسيين المعادين لفرنسا ، فقد وصلت لحدود 95% في بداية 1943<sup>(56)</sup>، و هو ما يبين اختلاف رأي الجماهير مع منطلقات الحزب الدستوري التونسي الجديد ، فكان للفئات الشعبية الدور الكبير في تناقل الأخبار التي تحط من هيبة فرنسا و مكانتها بالبلاد ، ففي مدينة قليبية تناقل الأهالي ( أن فرنسا لم تعد تتحكم بالبلاد و أن ساعة العدل قد حانت ) ، و انتشرت على الجدران عدة كتابات منها ( يحيا هتلر - تحيا ألمانيا - لتسقط فرنسا ) .<sup>(57)</sup>

ازداد تأثر التونسيين بالدعاية التي وجهتها دول المحور ضد اليهود و زادة خصوصا مع تواجد قوات المحور . فقد قام بعض التونسيين بأعمال انتقامية ضد اليهود التونسيين و الاجانب بتواطء الألمان . تمثلت في عمليات التهديد و نهب الممتلكات ، إذ يشير تقرير مؤرخ في 13 فيفري 1943 ، إلى مداهمة بعض الشبان التونسيين مصحوبين بجنود ألمان لمنازل اليهود ليلا . كما عمد بعض التونسيين إلى تخيير عائلات يهودية بين دفع 2000

فرنك أو مصادرة منازلهم .و عمد بعض التونسيين إلى إحضار جنود ألمان لمنازل اليهود لاغتصاب نسائهم .(58)

كما شكل الدعم المادي للشعب التونسي اثناء تواجد قوات المحور دورا كبير في التمويل , فقد أقام أهالي مدينة قرقمالية مآذب على شرف الجنود الألمان الذين حلوا بالمنطقة 15 نوفمبر 1942(59) , و عمد بعض أهالي البلاد المتفذين اقتصاديا إلى بعض القادة الألمان لتناول الغذاء في منازلهم , و زود عديد الفلاحين جيوش المحور بالمؤن ( زيت الزيتون- البيض- السجائر - الحليب ...) , وهكذا يظهر حرص التونسيين على تقديم الدعم لقوات المحور لتتقدم من سلطة فرنسا الاستعمارية . (60)

استطاع الألمان كذلك تطويع التونسيين كعمال لتهيئة الطرق و حفر الخنادق , و هناك من تطوع في صفوفهم كجندي , إذ يشير محضر جلسة صدر في 26 ماي 1943 إلى فرار مجموعة من الجنود التونسيين في صفوف الجيش الفرنسي و التحاقهم بالفيالق الألمانية بجهة ماطر .(61) كما تطوع بعض الأهالي كمجندين وقاموا بحراسة بعض الأماكن الاستراتيجية , منهم 15 مجندا كلفهم الألمان بحراسة جبل بوسالم و مراقبة تقدم الألمان بالجهة , كما اشارت تقرير فرنسية اخرى إلى ما أبداه سكان منطقة نفزاوة و دوز من رغبة جامحة في مساندة قوات المحور بالجهة إذ اشار تقرير قاي ( Gay ) رئيس كقبية دوز في 10 افريل 1943 إلى انخراط العديد من الأهالي المتعاطفين في وحدة المهاري الألمانية.(62)

#### ب- قادة الحركة الوطنية التونسية :

يصعب التعرف على مواقف قادة الحزب الحر الدستوري الجديد من الدعاية , فإن كان موقف الحبيب بورقيبة واضحا , فإن موقف بقية القيادة في الحزب تميزت بعدم الوضوح , بل تراوحت بين التأثر بالدعاية و الإيديولوجية التي تظهر عليها الانتهازية واستغلال الفرص .فقد حذر الحبيب بورقيبة من سجنه بفرنسا إلى تحذير التونسيين , وقادة الديوان السياسي للحزب حتى قبل وصول قوات المحور لتونس , وذلك بعدم الانجرار أمام ما تروده الدعاية الألمانية و الإيطالية . ففي مقابلته مع لعبد الرحمان الجزيري أوت 1941 اكد بورقيبة على عدائه للفاشية . (63)

ورغم موقف بورقيبة المعادي للمحور فإن كثيرا من القيادات الشابة تعاملوا مع لجان الهدنة الألمانية و الإيطالية , أمثال الحبيب ثامر رئيس الديوان السياسي السادس , الذي

طالب بالتعاون مع المحور ، مما جعل بورقيبة يوجه رسالة غلى الحبيب ثامر 8 اوت 1942 مما يؤكد على النضج السياسي و النظرة المستقبلية للواقع العسكري للفترة المقبلة . وقدكون الحضور العسكري لجيوش المحور في تونس رأيين في ظل الظروف الجديدة ، فقد مثل بالنسبة لبعض قادة الحزب تحقيقا للأمل المنشود و الذي مثلته الدعاية الألمانية في تحرير تونس في ظل السياسة الفرنسية ، فقد ركزت قوات المحور على ربط علاقات مع قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد الشابة منهم رشيد إدريس و حسين التريكي و فريد بورقيبة .<sup>(64)</sup>

ففي 21 مارس 1943 بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، أكد فريد بورقيبة خلال حضوره استعراض الشبيبة الدستورية بمسرح حمام الأنف على الحرية التي يتمتع بها التونسيون بحضور المحور وهو ما يبين مدي التأثير الدعائي على بعض قادة الحزب الحر الدستوري الجديد ، وساهم هؤلاء القادة في خدمة الحضور العسكري للمحور فجريدة إفريقيا الفتاة الناطقة باسم الحزب الحر الدستوري الجديد التي اشرف عليها الحبيب ثامر كمدير سياسي لها ، قد أفرطت في نقل انتصارات قوات المحور من خلال الدخول في مغالطات ونسيان قدرات الحلفاء في قلب الموازين إضافة إلى ما قام به رشيد إدريس و محمود المسعودي من دعاية للمحور عبر موجات راديو الوطن . فكان من نتائج توجه بعض قادة الحزب الحر الدستوري الجديد نحو دعاية المحور ، طرد كل من الرشيد إدريس و حسين التريكي في 28 فيفري 1943 لتعاونهم مع المحور .<sup>(65)</sup>

و عموما يمكن أن نتبين دور السياسية الدعائية الفاشية و النازية في خلق الخلاف بين أعضاء الحزب ، فقد سعى جزء من المناضلين إلى استغلال الدعاية و الحضور العسكري للمحور في تفعيل العمل الحزبي . و نادى الشق الآخر بضرورة التريث و مساندة فرنسا املا في انتصارها في الحرب .<sup>(66)</sup>

## 2- تأثير دعاية الحلفاء (فرنسا- بريطانيا - الولايات المتحدة الأمريكية) على

تونس :

أ - الشعب التونسي:

لم يكن لدعاية الحلفاء صدى كبير عند التونسيين ، إذ أن دعاية الإنجليز بواسطة محطة BBC لم يفلح في التأثير على الرأي الشعبي ، حتى أنها لم تقلل من اثر دعاية المحور . ففي تقرير للمراقب المدني بجربة للمقيم العام الفرنسي في 30 مارس 1940 جاء فيه (..... رغم الدعاية الإنجليزية ، فإن الرأي العام التونسي مناهض للإنجليز و يتمنى هزيمتها ضد الألمان.... ) . و مما يؤكد ما جاء في التقرير رسالة المراقب المدني بجهة قابس إلى المقيم العام ، إذ أكد أن 84 ٪ من سكان قابس يتمنون هزيمة إنجلترا.

وإزداد نفور التونسيين من الدعاية الإنجليزية إثر القصف الذي تعرض له ميناء المرسى الكبير . ففي تقرير بعث به مسؤول الأمن إلى مديرية الإدارة العامة بتونس بتاريخ 6 جويلية 1940 جاء فيه ( إن الرأي العام التونسي مناهض لإنجلترا وإن إعلان قطع العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا و إنجلترا قد قوبل بإرتياح ) . و حتى الدعاية التي قادتها إنجلترا عقب دخول قوات المحور لتونس ، فهي لم تساهم في جلب الرأي العام التونسي للوقوف في وجه المحور . فيذكر صادق زميرلي في كتابه ( تونس في عهد المنصف باي 1942-1943 ) : ( لقد استغرب بعض الملاحظين فتور الإستقبال الذي خص به سكان العاصمة و المسلمين جيوش الحلفاء عند دخولهم إلى مدينة تونس ) و يمكن القول أن دعاية الحلفاء لم يكن لها القدرة على كسب الأهالي و ذلك لعدة أسباب منها :

- رسوخ إعتقاد عند التونسيين بعودة السيطرة الفرنسية على البلاد بعد تحريرها من المحور.
- سياسة إنجلترا المعادية للمسلمين و العرب في فلسطين.
- الوعي التونسي عند التونسيين بالدور الإستعماري البريطاني في بعض الدول العربية كمصر و العراق و السودان....
- ضعف دعاية الحلفاء و عدم قدرتها على مس نفسية الأهالي .<sup>(67)</sup>

اختلفت وسائل دعاية الحلفاء بين الدعاية الإعلامية كالصحف و الإذاعات و إلقاء المنشورات بواسطة الطائرات، ففي صبيحة 21 سبتمبر 1940 أُلقت الطائرات الإنجليزية منشورات على المدن الساحلية بنزرت و صفاقس و سوسة و هي عبارة عن نداء موجه للجنود الفرنسيين بتونس، ولعل التركيز على مدينة بنزرت هو ما يؤكد أن دعاية الحلفاء كانت له أهداف و دلالات لأن مدينة بنزرت كانت مركزا لتجمع العنصر الفرنسي إضافة

لوجود ترسانة عسكرية ( قواعد عسكرية - اسطول عسكري ...) . أما بالنسبة للمنشورات التي كانت تلقىها الطائرات على المدن التونسية فركزت على التهديد و الوعيد للتونسيين بعواقب التعاون مع المحور و مصير كل شخص يتعامل مع الألمان و الإيطاليين بعد استرجاع السيطرة على تونس .

عموما ركزت دعاية الحلفاء في تونس على استمالة الجنود الفرنسيين و القيادات التي كانت موالية لي فيشي ك محاولة لاستمالتها إلى جانبها لمساعدة قوات الحلفاء في السيطرة على تونس , ولم تركز في دعايتها على الشعب التونسي الذي وجد في الألمان سندا و إن كان في طريقة التعامل مقارنة مع الفرنسيين سابقا , بل جعل الحلفاء في أطروحة تقرير مصير الشعوب المستعمرة و الترهيب تارة أخرى اسلوبا في إيصال رسائله للتونسيين , وبعد نزول الحلفاء بشمال إفريقيا و السيطرة على تونس شرعوا في حملة دعائية لتجنيد التونسيين من أجل استرجاع السيطرة على المناطق التي سيطرت عليها ألمانيا في أوروبا . (68)

#### ب- قادة الحركة الوطنية التونسية :

شكلت دعاية الحلفاء التي ركزت على استهداف فئة معينة من قادة الحركة الوطنية التونسية من خلال إظهار مبادئ البراقة كتقرير مصير الشعوب المستعمرة و الحرية و الديمقراطية تارة و الترهيب من دعم قوات المحور و الانحياز لهم تارة أخرى استراتيجية لجذب بعض قادة الحزب الحر الدستوري الجديد لصفهم وإبقاء فئة ضمن الأغلبية الصامتة التي لا تكن ولائها لأي طرف . (69)

قبل التطرق إلى موقف بعض قادة الحركة الوطنية التونسية , لا بد من المرور على موقف المنصف باي الذي ارتقى للعرش 19 جوان 1942 , فمع الإنزال الأنجلو سكسوني في شمال إفريقيا 8 نوفمبر 1942 وجد الباي نفسه أما ضغوط داخلية و خارجية لاتخاذ موقف من الأطراف المتصارعة في الحرب :

- الضغوط الخارجية جاءت من مختلف الأطراف المتصارعة ( المحور - الحلفاء ) ففي رسالة في 7 نوفمبر موجهة للباي من طرف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دعاه فيها للتعاون مع الحلفاء لأن قوتها تسعى للسيطرة على شمال إفريقيا .
- أما بالنسبة للضغوط الداخلية , فوجد الباي نفسه أمام ضغوط من البلاط بين حزب ذو ميول ألمانية ( رؤوف باي ابن المنصف باي ) , و حزب ذو ميول أنجلو سكسونية

يتزعمه عدة شخصيات تقوم بوظيفة المستشار ( الشاذلي خزندار - على الكاهية - و صالح فرحات ) و هم من الأعضاء المؤسسين للحزب الدستوري , يضاف إليهم بعض تشكيل الوزارة الجديدة ( محمد شنيق - عزيز الجلوي - محمود الماطري ) و وجوه بارزة بالبلاط امثال ( محمد على العنابي - الصادق زميرلي - الشاذلي حيدر ) وهي جماعة أطلق عليها (بورجوازية الأعمال و الحلفاء ) و ( أنصاف الأمريكيين ) و ذلك للاتصالات التي كانت بينهم وبين القنصل الأمريكي بتونس.<sup>(70)</sup>

هذا ما كان يدور في البلاط من نزاع بين تيار ذو نزعة ألمانية و تيار ذو نزعة أنجلو سكسونية , كل تيار يريد فرض رأيه مما جعل الباي يتأخر في رده على مختلف الأطراف لعدة أيام إلى أن إستقر موقفه بعد التشاور مع جميع الأطراف على إتخاذ موقف محايد تجاه الدول المتحاربة ووجه رسائله لكل من رئيس الولايات المتحدة و جورج السادس ملك إنجلترا و فيكتور إيمانويل الثالث ملك إيطاليا و أدولف هتلر مستشار ألمانيا تحتوي على نفس الرد ببقاء البلاد خارج النزاع الدولي.<sup>(71)</sup>

يمكن القول أن الصراع الذي كان قائما داخل بلاط الباي بين التيار المؤيد لتواجد المحور و التيار المساند لسيطرة الحلفاء على تونس يبين مدى تأثير الدعاية التي كانت مسلطة على تونس بوسائلها المختلفة الإعلامية و البشرية من خلال الجواسيس و العملاء من جميع الأطراف المختلفة سعيا منهم لجذب أكبر قدر ممكن من قادة الحركة الوطنية التونسية الذين لهم تأثير على إتخاذ القرارات في تونس . من هنا سوف نتطرق إلى الطرف الذي تأثر بدعاية الحلفاء و هم في معظمهم مجموعة من المناضلين السياسيين عملوا في البلاط كمستشارين للباي و كان تأثيرهم بنظرة الحبيب بورقيبة واضحة بالنسبة لتواجد قوات المحور بتونس .

علما أن الحبيب بورقيبة كان محافظا على موقفه الذي صرح به امام قيادات التجمع الشعبي في مارس 1937 , و هو دليل قاطع على وعيه بمخاطر إغراءات المحور , وفي ذات الوقت كان مساندا للديمقراطي الليبرالية و ضد الفاشية و الشيوعية , و ظل طوال فترة مفاوضاته مع الإيطاليين بعد إطلاق صراحه رفقة زملائه من قبل كلاوس باربي Klaus Barbie في 16 ديسمبر 1942 بأمر من الفوهرر محافظا على نفس مطالبه متظاهرا بحسن نيته و استعداداه للتعاون معهم ماطلة لكسب الوقت , لكونه كان مدركا أن مطالبه لن تنفذها السلطة الإيطالية . فعاد بورقيبة إلى تونس في 9 أفريل

1943 و ابتعد عن النشاط السياسي , مفضلا انتظار نتائج الحرب , من هنا يتضح موقف بورقيبة الذي لم يتغير طوال فترة الحرب , فقد ظل متشبثا بمواقفه و هو ما يثبت بعد نظره فيما يحدث حوله .

### خاتمة:

خلاصة لما ذكرنا يمكن القول أن تونس خلال الحرب العالمية الثانية سلطت عليها حملة دعائية استخدمت فيها جميع الوسائل المتاحة من الأطراف المتصارعة (الحلفاء - المحور) , و كان لها تأثير كبير على التونسيين فظهرت فئتان الأولى مكونة من بعض قادة النخب السياسية أمثال الحبيب بورقيبة و من عامة الشعب سائدة الحلفاء و الفئة الثانية المتأثرة بالدعاية الألمانية و الإيطالية دعمت المحور بمختلف الوسائل حتى ( المادية - البشرية ) , مما يشير إلى الدرجة التي وصل لها تأثير دعاية المحور في الأوساط الشعبية وحتى بعض قادة الحركة الوطنية التونسية , كل هذا ساهم في ظهور انقسام في الأوساط الشعبية و السياسية ظهر جليا في الانقسام داخل بلاط الباي بين دعاة مساندة المحور و ودعات الوقوف إلى جانب الحلفاء , مما أضطر الباي لاتخاذ موقف الحياد في الحرب .<sup>72</sup>

### الهوامش:

(<sup>1</sup>) Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, Archive du Quai d'Orsay, Bobine 443, Carton 22, Extrait de presse : paris soir du 01/01/1939 , folio 14

(<sup>2</sup>) Levisse- Touzé Christine , L'Afrique du nord dans la gerre ( 1939-1945) , édition Albain Michel , S.A , Paris , 1998, p16.

(<sup>3</sup>) (Piéri M , p , « La stratégie italienne sur l' échiquier méditerranéen » in La guerre en Méditerranée, Acte de Colloque , édition CNRS , paris , 1969, pp 70

(<sup>4</sup>) Chérif Faycal , « La Tunisie dans le plan hégémonique des divers puissances rivales pendant la seconde guerre mondiale( 1939-1945) , essai de synthèse " », Revue Tunisienne des sciences sociales , n 125 , 4 éme année , 2003 , p150

(<sup>5</sup>) (I.S.H.M.N , Q.O, B100, C662, D1 , Emission de radio Tripoli du 25/02/1939, F177.

(<sup>6</sup>) (Kraiem .m , Le Fascisme et les italiens de la Tunisie ( 1918-1939) , éd , CERS , tunisis , 1987 , p 169.

(7) Khaled .A ,Documents secrets du deuxième bureau ( Tunisi – Maghreb) sous la conjoncture de pré-guerre ( 1937-1940), édition STD,tunisi, 1983, p 557.

(8) تركزت اول قنصلية عامة المانية بالبلاد التونسية في 18 جانفي 1871 , كان مقرها ب 12 نهج زرقوط وكان آنذاك شارل تولان أول قنصل لها . انظر :

العجيلي التليلي : المصالح الألمانية و مصير الرعايا الألمان في بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى , روافد , ع4, 1998, ص 197.

(9) قامت القنصلية العامة الألمانية في شهر جويلية 1938 بإحصاء رعاياها من الألمان و النمساويين المستقرين بتونس , و إهتمت بالشباب الذين تجاوزت أعمارهم 15 سنة , إذ وزعت عليهم استمارات طالبتهم بالإجابة عن فحواها بكل دقة , و إهتمت بجلب آلات لعرض أفلام دعائية موجهة نحو الجالية الألمانية بالبلاد .انظر :

- Khaled .A ,, op.cit, p3

(10) Les Archives Nationales de la Tunisie ,Folio , Catron 20, Dossier 4, Sous Dossier 7 , Rapport du directeur de la sureté de la publique au secrétaire général du gouvernement tunisien.

(11)Khaled .A , op.cit, p346

(12) ( I.S.H.M.N) , Q.O,B100,C662,D1,Rapport du R.G au M.A.E à paris , le 12/01/1939 , f15.

(13)Ibid

(14)A.W.O, centre département d'information d'oran, BULLETIN DES RENSEIGNEMENTS, N°1163,Boite N° 4467, 02 jan 1940

(15) ( I.S.H.M.N , Q.O, B 971 , C 2852 , D 1 , Non folioté , Non daté

(16) Charles Robert Ageron ,( Les population du Magrèb face à la propagande allemande) in Revus d'histoire de la deuxième guerre mondiale ,n 14, 29 année,avril 1979, pp 18-19

(17) لكن رغم ذلك لم تتخلى الدعاية الالمانية عن دعوة العرب الى الوحدة و اعلان الاستقلال ( ايها العرب توحّدوا و ناضلوا من اجل الاستقلال ..... ليحيا العرب) و هي عبارة لا طالما رددتها الدعاية الالمانية حتى قبل نشوب الحرب العالمية الثانية . انظر :

- I .S.H.M.N , ( A.N .A.O.M) , de 12/08/1940, f 651.

(18) وقع عقد اتفاقية الهدنة الأولى بين فرنسا و ألمانيا في روتوند ( Rotondes) يوم 22 جوان 1940 ثم عقدت الاتفاقية الثانية بين فرنسا و إيطاليا يوم 24جوان 1940 بقبلا أنسيزا ( Villa Incisa) بروما وقد تمحض عن هذه الإتفاقية تكوين لجنتين لتطبيق مقررات الهدنة . انظر :

- Charles Robert Ageron, op.cit, p94 .

(19) Levisse – Touzé Christine , , op.cit , p 47.

(20)A.S.H.M.N , Q.O, B 443,C 22 , D 1 , Rapport du général Esteva au secrétaire d'Etat aux Affaires étrangères du 27/12/1941 , f 47.

(<sup>21</sup>) I.S.H.M.N , B 443 , R 148 , C 1799 , D1 , Rapport d' Esteva du Vichy du 24/09/1940 , f2.

(<sup>22</sup>) (Chérif Faycal , op.cit , p 369

(<sup>23</sup>) إفريقيا الفتاة , 06 جانفي 1943 .

(<sup>24</sup>) إفريقيا الفتاة , 23 جانفي 1943

(<sup>25</sup>) إفريقيا الفتاة , 25 فيفري 1943 الوزير المفرض الإيطالي ممثل الحكومة الإيطالية يزور المنصف باي .

(<sup>26</sup>) أثر المفتي الهرب من فلسطين سنة 1937 إثر تهديده من طرف القوات الإنجليزية و استقر مع بداية

اندلاع الحرب العالمية الثانية في مدينة بغداد . أنظر :

- أبو الشيخ أحمد الأحمد , الحاج الأمين الحسيني و علاقته بالحركات الوطنية المغاربية ( 1924-

1949) , رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر , كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية , جامعة

تونس , 1999-2000 , ص 67 .

(<sup>27</sup>) نفسه , ص 68 .

(<sup>28</sup>) فريزر لندلي , الدعاية السياسية و أثرها على مستقبل العالم , تر: عبد السلام شحاتة, دار الطباعة و

النشر و الإعلام , القاهرة , 1960, ص 12

(<sup>29</sup>) (I.S.H.M.N Q.O , B100 , C600 , D 1 , Note au sujet de Radio diffusion en langue arabe , f 2

(<sup>30</sup>) Ibid , f Télégramme du R.G au M.A 09/03/1938 , f 16

(<sup>31</sup>)Ibid , f 11

(<sup>32</sup>) (I.S.H.M.N Q.O , B100, R642 , C2444

(<sup>33</sup>) (I.S.H.M.N Q.O , B99 , C657 , D1 , Extrait du journal le populaire du 24/02/1938 , f 35 .

(<sup>34</sup>) ( Driss Rachid , Reflet d'un combat , ISMN , tunis , 1996 , pp 82-83

(<sup>35</sup>) Khaled .A , op.cit. , p579

(<sup>36</sup>) I.S.H.M.N Q.O , B100, C661 , D1 , F 261 .

(<sup>37</sup>) Khaled .A , op.cit. , p557

(<sup>38</sup>) تأسست جريدة لونيون ( L'Unione ) في 20 مارس 1886 من قبل سيزار فابري (Ceasar Fabri

( بايعاز من والده فريديريكو فابري و هو صحفية شهيرة في شبه الجزيرة الإيطالية حيث كانت تصدر هذه

الجريدة مرتين في الأسبوع وكانت تهدف إلى الدفاع عن الوجود الإيطالي بالبلاد التونسية. لقد ساهمت

القنصلية العامة الإيطالية بالبلاد بقسط كبير في تمويل هذه الجريدة , لتكون المعبر عن الحالة الإقتصادية و

السياسية للجالية الإيطالية , إضافة إلى الدفاع عن نفوذها كأكثر جالية أجنبية بالبلاد التونسية , وهو ما أثار

قلق الإقامة العامة الفرنسية , فعملت على بعث جريدة لا ديباش ( La Dépeche Tunisienne ) كوسيلة

إعلامية مضادة لما تنتقله جريدة لونيون .

و مع حلول سنة 1937 تحوبت إلا جريدة تعمقت في توجهاتها الفاشية خاصة مع رئاسة ( Enrico Santa Maria ) , أما في زمن الحرب فتعرضت لرقابة إلى السلطات الفرنسية .

- I.S.H.M.N , A.N.A.O.M , B100, A46 , c 25 H3212 , f f 940-956.

(39) A.N.T , E , C550 , D 440, B18 , J.O.T , n 48 , du 10/08/1939 , p 6.

(40) Ibid , p 3

(41) A.N.T , E , C440, B18 , D 57 , J.O.T , , du 7/09/1939 , p 6.

(42) (3) A.W.O ,Centre Département d' information d'oran , Bulltin DES Renseignements, N°366,Boite N° 1163, 27 Décembre 1939.

(43) ( Khaled .A , op.cit. , p629

(44) Levisse- Touzé Christine, op.cit , p 68

(45) I.S.H.M.N Q.O , P55 , C1184 , D1 , Note confidentielle du 16/08/1943 , f 33

(46) I.S.H.M.N ,B.R219, C1195 , D1 , Bulletin d'information et de documentation du mois de septembre 1940 , f 359

(47) (I.S.H.M.N Q.O , B444 , C34 , D1 , Rapport d'esteva à Vichy du 15/08/1941 , f 10

(48) جاء في المنشور مجموع من الجمل الدعائية الهادفة التي يمكنها أن تأثر في الفرد و تترجم معنى التعاون مع قوا المحور :

- يعني التعاون : موافقتكم على إرسال ثرواتكم إلى إيطاليا و فرنسا .
- يعني التعاون : توفير الأسلحة لكل من إيطاليا و ألمانية ( إن القنابل الحارقة التي سقطت على لندن قد صنعت من الفوسفور التونسي )
- يعني التعاون : موافقتكم على ارسال البترول ومو ما تفتقد اليه .
- I.S.H.M.N Q.O , B444 , C34 , D1 , Tract lancé sur la ville de Benzeret le 13/08/1941 , f 14

(49) (I.S.H.M.N Q.O , B444 , C34 , D1 , Tract lancé par l'avion anglaise sur la Tunisie , 1941 , f 13

(50) افتتحت محطة ال ب.ب.س الناطقة باللغة العربية برامجها بداية من سنة 1938 , لبث حصص دعائية موجهة نحو الرأي العام العربي , تخدم المصالح البريطانية حيث جاءت كرد فعل على الإذاعات المضادة التي فتحتها المحور لتوجيهها للعالم العربي والإسلامي .أنظر:  
- فريزر لندي , مرجع سابق , ص 57.

(51) ( Chérif Faycal, op-cit , pp 399

(52) (I.S.H.M.N B.R976 , C2886 , D4 , Document non folioté, non daté

(53) ( Chérif Faycal, op-cit , pp 557-559

(54) (I.S.H.M.N, BR 976, C2886 , D4, Tract rédigé par le caid de Kairouan , non folioté.

(55) (I.S.H.M.N, B,R 182, C1845 , D1, Rapport du Directeur général des controles au R.G du 05/09/1944 , f 68.

(<sup>56</sup>) I.S.H.M.N, B,R 184, C1848 , D9, Rapport sur la situation politique en tunisie, 01/02/1946 , non folioté.

(<sup>57</sup>) A.N.T ,M.N , C 13 , D 9 , Rapport du chef de poste de polise au commissaire chef de la 2 éme région , du 7/10/1942 , p 16.

(<sup>58</sup>) A.N.T , M.N , C13, D 9 , Rapport de police au au préfet , du 16/02/1943 , p 37.

(<sup>59</sup>) I.S.H.M.N, B,R 189, C1864 , D2, Rapport de la gendarmerie , 04/12/1942 , f 286- f 287.

(<sup>60</sup>) I.S.H.M.N, B,R 189, C1864 , D2, Rapport de la gendarmerie , 16/02/1943 , f 280.

(<sup>61</sup>) A.N.T , M.N , C13, D 9 , P.v ,du 26/05/1943 , pièce 37.

(<sup>62</sup>) I.S.H.M.N, A.NA .OM , B . A46 , C25H32 , D15 C 13 , Rapport du chef de Bataillon Gay , Kébili, le 10/04/1943 , f 1390.

(<sup>63</sup>) Rey Goldzeiguer Annie , L'opinion publique tunisienne ( 1940-1944) in la tunisie de 1939 à 1945 du 4eme Séminaire sur l'histoire de mouvement national ( 5-6-7 juin 1987) , sidi Bousaid , tunis , C.N.U.D.S.T , p 140

(<sup>64</sup>) Khaled .A , op.cit. , p95

(<sup>65</sup>) Bessis Julette , La Méditerranée Fasciste ,L'Italie Mussolinienne et la Tunisie édition Kartala , paris ,1991 , pp 359-360.

(<sup>66</sup>) Rey Goldzeiguer (A) , op.cit , p 140

(<sup>67</sup>) ( ) الأسعد الغرياني , سياسة المحور و الحلفاء تجاه البلاد التونسية ( نوفمبر 1938 - 1944), رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر , كلية الآداب و الفنون الإنسانية , قسم التاريخ , جامعة منوبة , 2004-2005 , 142-143 .

(<sup>68</sup>) نفسه ص ص 98-99.

(<sup>69</sup>) نفسه , ص 50

(<sup>70</sup>) صادق زميرلي , تونس في عهد المنصف باي ( 1942-1943) بين الرجاء و خيبة الأمل , ( تر ) :

حمادي ساحلي , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1989 , ص 55.

(<sup>71</sup>) المستيري سعيد , المنصف باي الحكم و المنفى , ( تر ) : هشام القروي , ط 1 , دار الأقواس للنشر , تونس , 1991, ص ص 66-67

(<sup>72</sup>) Bessis Julette , op.cit , p362